إنْ كـــانَ لا يُـــدْعَـــى الْـــفَـــتـــى إلّا كـــذَا
رَجُـلاً فَـسَـمِّ الـنَّـاسَ طُـرًّا إصْـبَـعَـا[١]
إنْ كَـــانَ لا يَـــسْـــعَـــى لِـــجُـــودٍ مَـــاجِـــدٌ
إلَّا كـذَا فَـالْـغَـيْـثُ أبْـخَـلُ مَـنْ سَـعَـى[٢]
قَـدْ خَـلَّـفَ الْـعَـبَّـاسُ غُـرَّتَـكَ ٱبْـنَـهُ
مَـرْأًى لـنَـا وَإلـى الْـقِـيَـامَـةِ مَـسْـمَـعَـا[٣]

أنت نبع والملوك خروع

قال وقد ركب سيف الدولة في تشييع عبده يماك لما أنفذه في المقدمة إلى الرقة وهاجت ريح شديدة:

[الرجز]

لَا عَـــدِمَ الْـــمُـــشَـــيِّـــعَ الْـــمُـــشَـــيَّـــعُ
لَـيْـتَ ٱلـرِّيَـاحَ صُـنَّـعٌ مَـا تَـصْـنَـعُ[٤]

---

(١) طرًا: جميعاً. إنها مواصفات تلتئم لدى الفتى، الكامل الفتوّة، فإذا اجتمعت كلّ تلك الصفات لدى أحدهم فهو شبيه بالممدوح، وهذا محال لأن تلك الصفات متفرّقة بين البشر، وجميع الناس يساوون إصبع الممدوح إذا ما قيسوا بما لدى الممدوح من مزايا وصفات.

(٢) الغيث: المطر. يُقيم الشاعر مقارنة بين ممدوحه وسائر البشر، وبينه وبين المطر؛ فمن المؤكد أنه لا يوجد في البشر من يُوازي الممدوح في كرمه وسرعة تلبيته لاستغاثة الملهوف والمحتاج، حتى الغيث فإنه يُعتبر بخيلاً إذا ما قورن بالممدوح، فالمطر رحلته طويلة ليعمّ خيره الكون بما فيه ومن فيه من البشر عكس الممدوح الذي يُسارع إلى الخيرات.

(٣) يُخاطب الشاعر ممدوحه، إنه خلف أبيه العباس، والولد سرّ أبيه، إنه غرّة وضّاءة ومفخرة أبيه، كرماً وخُلقاً وهيئة، ففضله يتمثل بفضل الممدوح وكرمه؛ إنه صيت يبقى مع الدهر إلى يوم يبعثون على ألسنة البشر ثناءً ومدحاً.

(٤) المشيِّع: اسم فاعل، ويقصد بذلك سيف الدولة. المشيَّع: اسم مفعول غلام سيف الدولة يماك. يدعو الشاعر لسيف الدولة بدوام العمر وألّا يفتقده عبده، وهو يتمنّى على الرياح أن تصنع ما يصنعه الأمير من فوائد للناس لكرمه وجوده.

بَـكَـرْنَ ضَـرًّا وَبَـكَـرْتَ تَـنْـفَـعُ
وَسَـجْـسَـجٌ أَنْـتَ وَهُـنَّ زَعْـزَعُ(١)
وَوَاحِـدٌ أَنْـتَ وَهُـنَّ أَرْبَـعُ
وَأَنْـتَ نَـبْـعٌ وَالْـمُـلُـوكُ خِـرْوَعُ(٢)

أنت تخلق ما تأتي

قال وقد ظفر بسيف الدولة في هذه الغزوة:

[البسيط]

غَـيْـرِي بِـأَكْـثَـرِ هٰـذَا الـنَّـاسِ يَـنْـخَـدِعُ
إِنْ قَـاتَـلُـوا جَـبُـنُـوا أَوْ حَـدَّثُـوا شَـجُـعُـوا(٣)
أَهْـلُ الـحَـفِـيـظَـةِ إِلَّا أَنْ تُـجَـرِّبَـهُـمْ
وفـي الـتَّـجَـارِبِ بَـعْـدَ الـغَـيِّ مَـا يَـزَعُ(٤)

---

(١) السجسج: الرياح اللطيفة الربيعيّة. الزعزع، الرياح الشديدة المضرّة. يقيم الشاعر بين ممدوحه وبين الرياح العاتية مقارنة، إنها تبكّر مخرّبة الطبيعة ومؤذية البشر باشتدادها، بينما تبدو ريح الأمير لطيفة محيية تهب على الحياة لطيفة فلا تؤذي لرقتها، فلا هي حارّة مؤذية ولا هي باردة قارسة تُخيف وترعب.

(٢) يقيم الشاعر أيضاً بين الأمير والرياح الأربعة مقارنة، وهي الجنوب، والشمال، والصبا، والدبور. النبع: ضرب من الأشجار الصلبة التي تُتّخذ عيدانها قسياً. إن الأمير واحد يتفوّق على العنيف من تلك الرياح التي تحمل الأذى للبشر، وهو كالنبع الذي يُستفاد منه في سبيل الدفاع عن بلاد الإسلام، وبمقابل الأمير ملوك ضعفاء نبتهم من شجر ضعيف خوّار لا يُقاوم يتكسّر بيسر وسهولة.

(٣) ورد البيت في دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٩٢. يبدأ الشاعر قصيدته بأنه لا ينخدع بمعسول الكلام، فالحرب لا تكون بالكلام بل بالفعل؛ فالشجاع يقاتل ويكشف عن أصالة معدنه وشجاعته، أما الثرثارون فإنهم كثيرون يخوضون المعارك وينتصرون وهم بعد في بيوتهم ومنتدياتهم، فلو دعوا إلى الجهاد تكاسلوا وتفننوا بإيجاد الأعذار الواهية.

(٤) الحفيظة: الحميّة والأنفة. الغي: الجهل. يزع: يردع، يمنع. ينعى الشاعر على المدّعين الجبن؛ إنهم يُبدون حماساً وحميّة في أحاديثهم؛ والتجربة امتحان يكشف =